م/ تاريخ الدولة العر بية الإسلامية فى العصر العباسى

المحاضرة الاولى

أسباب سقوط الدولة الأموية

شهدت الدولة الأموية (41-132هـ/661-750م) توسّعًا جغرافيًا وسياسيًا غير مسبوق بسبب الفتوحات الاسلامية، إلا أنّ هذا الاتساع لم يمنع انهيارها خلال أقل من قرن، ويمكن تفسير سقوطها من خلال عوامل سياسية واجتماعية واقتصادية وفكرية متراكمة .

أولًا: ضعف الشرعية السياسية وكثرة الثورات الداخلية

منذ مقتل الحسين بن علي سنة 61هـ، واجه الأمويون معارضة متعددة الاتجاهات من العَلويين والخوارج والزبيريين وغيرهم، وقد واجهت السلطة الأموية هذه المعارضة بالحلول العسكرية القسرية، مما أدى إلى استمرار التوتر .

ثانيًا: النزعة القبلية بين القيسية واليمنية

اعتمد النظام الأموي على الولاء القبلي، مما عمّق الانقسام بين مضر (القيسية) واليمن (القحطانية). وقد بلغ هذا الصراع ذروته في أواخر عهدهم، حيث انقسم الجيش الأموي ذاته بين هاتين الكتلتين، مما أضعف بنيته العسكرية .

ثالثًا: التمييز بين العرب والموالي

رغم عالمية الإسلام، حافظ الأمويون على امتيازات العرب في العطاء والقيادة، بينما حُرم الموالي من الفرس وغيرهم من المساواة، مما ولّد نقمة واسعة أصبحت لاحقًا الدعامة الأساسية للدعوة العباسية .

رابعًا: موقف الخوارج من الأمويين

ما أن هدأت حدة الصراع ضد الامويين، حتى تأججت الثورة من جديد في العراق ولكن هذه المرة ليست من جانب الشيعة، وانما من قبل جماعة أخرى كانت مع الامام علي بن أبي طالب(ع) في صفين، وبدأت فكرة الخروج على نظام الخلافة قائم وجعلوها جائزة في غير قريش .

خامساً: موقف الموالي من الأمويين

لم يهتم العرب بإسلام شعوب البلاد المفتوحة، وإنما كان همهم أخذ خيراتهم، فاستمروا في فرض الجزية والخراج عليهم، بل اطلق اطلقوا على من أسلم اسم " الموالي " ومفردها مولى أي الخاضعين لقبائل العرب .

سادساً: الترف المالي وفساد الإدارة

شهدت العهود الأخيرة ، خاصة عهد الوليد بن يزيد مظاهر بذخ وإسراف في بيت المال، نتج عنها فقدان الثقة في القيادة السياسية، واتساع الهوة بين الحكم والرعية.

سابعاً: ظهور الدعوة العباسية المنظمة

استغل العباسيون جميع عوامل السخط السابقة، ونظموا حركة سرية واسعة في خراسان بقيادة أبي مسلم الخراساني، ثم تحوّلت إلى ثورة مسلّحة أطاحت بالأمويين في معركة الزاب سنة 132هـ .

آراء المستشرقين في أسباب السقوط

نظر المستشرقون إلى سقوط الدولة الأموية من زاويتين أساسيتين:

زاوية اجتماعية ترى أن سبب السقوط هو فشل الأمويين في استيعاب الشعوب داخل الدولة: إذ يرى توماس آرنولد أن الأمويين جعلوا من الإسلام "قومية عربية"

أكثر من كونه رسالة عالمية، بينما أكد غوستاف لوبون أن الروح العنصرية قوّضت مبادئ المساواة في الإسلام، وذهب جيرجي زيدان إلى أن الثورة العباسية كانت " ثورة الموالي ضد امتيازات العرب " .

زاوية سياسية يعبّر عنها المستشرق مونتغمري وات الذي رأى أن النزاع القبلي بين الشماليين والجنوبيين " مَزّق وحدة الجيش أكثر من أية حرب خارجية "، بينما اعتبر ليوني كايتاني أن العامل الحاسم هو " ضعف الخلفاء المتأخرين وفساد البلاط " .

وهكذا يتّضح أن سقوط الدولة الأموية لم يكن نتيجة معركة فاصلة، بل حصيلة تفكك داخلي طويل الأمد، استثمره العباسيون بذكاء حتى انتقلت الخلافة إليهم .

المحاضرة الثانية

الخليفة العباسي عبد الله المأمون(198 – 218هـ/813 – 832م)

شخصيته:-

بويع المأمون بالخلافة سنة 198هـ وهو بمدينة الري بخراسان ولم يأت بغداد الا سنة 204هـ ، اختلف المأمون عن أخيه الأمين في أنه لم يستسلم للذاته وشهواته، بل انصرف الى طلب العلم والأدب والفلسفة، وشغف بالجدل بالمسائل الفقهية والدينية، قال عنه ابن الطقطقي: « أنه كان من عظماء الخلفاء ومن عقلاء الرجال، وله اختراعات كثيرة في مملكته...» ، لكن هذا لم يمنع المأمون عن شرب النبيذ والاستماع الى الغناء والطرب وخاصة غناء اسحاق بن ابراهيم الموصلي الذي قربه من مجلسه فأدى ذلك الى انتشار اجواء اللهو والغناء على أهل بغداد .

سياسة المأمون الداخلية:

استطاع المأمون بسياسته المرنة ان يجمع بين المواقف المتناقضة وان يرضي جميع الاحزاب ويتغلب على الصعاب، لكن بقائه بعيداً عن مركز الخلافة، وتقويضه ادارة البلاد فيها الى وزيره الفضل بن سهل وأخيه الحسن بن سهل الذي ولاه على العراق بعد ان تزوج من ابنته بوران تسبب في بعض الازمات والثورات ومنها :

أ- ثورة عربية عراقية:

كان لتأخر المأمون في المجيء الى بغداد نحو ست سنوات أدى الى ظهور عدة شائعات منها :

- ان المأمون خشي أهل بغداد بسبب أنصار أخيه الأمين .
- ان المأمون استهدف نقل عاصمة الخلافة من بغداد الى مدينة مرو على مقربة من انصاره
- ان الفضل بن سهل غلب على المأمون وأنزله قصراً حجبه عن الناس، وانه يبرم الامور

على هواه ، فغضب لهذه الشائعات أهل العراق واعلنوا الثورة العربية العراقية من مدينة الكوفة بزعامة ابو السرايا السري المنصور الشيباني أحد رجال القائد هرثمة بن أعين، وهزم جيوش الحسن بن سهل واستولى على السلاح والاموال والدواب سنة 199هـ، كما عمل على اخضاع البصرة والقادسية الى نفوذه وبدأ بعزل وتولية من يشاء من العمال، لم يجد الحسن بن سهل ازاء ذلك الا استرضاء القائد هرثمة

للتعاون معه للقضاء على هذه الثورة، وبالفعل استطاع هرثمة دخول الكوفة سنة 200هـ وألقى القبض على أبي السرايا وضرب عنقهُ .

ب - ثورة العلويين:-

انتهز العلويون فرصة قيام الثورة في العراق فساهموا فيها بقصد الإطاحة بحكم بني العباس، لذلك ما ان تم ضرب ثورة أبي السرايا في الكوفة حتى جاء دور العلويين في الحجاز، وبعد مقتل أبي السرايا اجتمع الاتباع حول محمد بن جعفر الصادق(ع) يبايعوه فقبل بعد تردد، فأرسل هرثمة بن أعين جيشاً للقضاء على تلك الحركة في مكة، لكن محمد طلب الأمان له ولمن معه حتى يخرجوا من مكة ويذهبوا حيث شاءوا فأجيب طلبهم، وبعد ثلاثة ايام دخلت الجيوش العباسية وتفرق العلويين

ولاية العهد للأمام علي بن موسى الرضا(عليهما السلام)

+1

أراد المأمون العباسي من اختيار الإمام علي بن موسى الرضا (ع) لولاية العهد سنة (201هـ) تحقيق أهداف سياسية استراتيجية، أبرزها تهدئة الثورات العلوية، إضفاء الشرعية على حكمه، إضعاف المعارضة الخارجية والشيعية والتضييق على الإمام الرضا(ع) عبر دمجه في السلطة ومراقبته عن قرب وذلك بعد اضطراب أوضاع الدولة .

وتتلخص الأسباب الرئيسية في النقاط التالية :-

1. تهدئة الأوضاع والفتن: محاولة إخماد الثورات والانتفاضات المستمرة من قبل العلويين وشيعتهم ضد الحكم العباسي .
2. إضفاء الشرعية : إكساب حكم المأمون صبغة شرعية، لا سيما بعد صراعه مع أخيه الأمين، بإظهار أن الإمام الرضا يبارك سلطته .

3. عزل الإمام عن قاعدته : إخراج الإمام الرضا من المدينة المنورة إلى مرو (خراسان)، ومحاولة حجبه عن قواعده الشعبية ومراقبته مباشرة .

4. تحويل المعارضة إلى سلطة : محاولة احتواء الإمام الرضا وإضعاف المعارضة بإدخال الإمام في جهاز الحكم، مما يقلل من زهده أمام الناس.

قبل الإمام الرضا ولاية العهد تحت الضغط والتهديد، معلناً عدم رغبته، وذلك لتفويت الفرصة على المأمون في ضرب قواعده، وتصحيح المفاهيم السياسية حول دور الإمام .

شروط التي وضعها الامام الرضا(ع) لقبول ولاية العهد

قبل الإمام (عليه السلام) ولاية العهد بشروط، بعد أن هدّده المأمون بالقتل، ومن هذه الشروط:

- أن لا يأمر ولا ينهى ولا يقضي ولا يغيّر شيئاً ممّا هو قائم ، وفعلاً فإنّ الإمام الرضا (عليه السلام) حتّى وقت استشهاده بالسمّ لم يتدخّل في أمور الدولة إلا بمقدار ما كان فيه خدمة للعامّة .

إخبار الإمام (عليه السلام) بعدم بقائه لزمان الخلافة

روي أنّ أحد خواصّ الإمام عليه السلام كان حاضراً مستبشراً في الاحتفال الذي أقامه المأمون بمناسبة قبول الإمام (عليه السلام) بولاية العهد .

فنظر إليه الإمام (عليه السلام) وأومأ قائلاً: « أدنُ مِنّي»، فلمّا دنا منه همس عليه السلام في أُذنه قائلاً: « لا تشْغَل قلبَك بِهَذا الأمرِ، ولا تَسْتَبشِر لَهُ، فَإنّهُ شَيء لا يَتمُّ » .

التغيرات الحاصلة بعد قبول ولاية العهد ، لقد قام المأمون ببعض التغيرات، منها:

١ـ أبدل لبس السواد الذي هو شعار للعبّاسيين بلبس الثياب الخضر الذي هو شعار للعلويين .

٢ـ أمر بطبع اسم الإمام الرضا (عليه السلام) على الدراهم .

٣ـ أعلن عن عزمه على صرف مرتّب سنوي بهذه المناسبة السعيدة .

ثورات الأقاليم

1- ثورة الزط :-

كلمة الزط هي تعريب للفظ(جت - Jat) الفارسية، والزط خليط من الشعوب وهم اقرب للغجر، والغجر البارعين في العزف والغناء، نزحوا من شمال غرب الهند(السند) فسكنوا شواطئ الخليج العربي(الفارسي)، اندلعت هذه الثورة للسنوات(195- 220هـ) بجنوب العراق منطقة البطائح في عهد المأمون، واستغلوا الفتنة التي وقعت بين الأمين والمأمون واستولوا على البصرة وكان رئيس الزط يدعى (محمد بن عثمان) .

ولما انتقل المأمون الى مركز خلافته في بغداد واستقرت الأمور له، أرسل عدة حملات ضد الزط في سنة 205هـ و206هـ ولكن هذه الحملات لم تتمكن من القضاء على عليهم فكانوا يتفرقون في الاصقاع الخالية كلما شعروا بالخطر يداهمهم ويتكتلون بعد زواله حتى تمكنوا من فرض الضرائب على السفن الداخلة الى بغداد، وحالوا دون وصول الأقوات الى عاصمة العباسيين .

واستمروا الزط في عبثهم حتى خلافة المعتصم بالله(218 – 227هـ) الذي ارسل لهم حملة بقيادة (عجيف بن عنبسة) الذي حاصرهم وأباد معظمهم ونفى الأسرى الذين كانوا حوالي 27 الفاً من الرجال والنساء والاطفال الى شمال الدولة العباسية بثغور الأناضول بـ (مدينة عين زوربة) وبقوا هناك حتى وقعوا في ايدي البيزنطيين سنة 241هـ فنقلوهم الى القسطنطينية ومنها انتشروا الى مختلف البلاد الاوربية مثل (اسبانيا وهنغاريا) .

2- ثورة نصر بن شبث 198هـ :-

لم تهدأ الاوضاع في الجزيرة الفراتية وشمال بلاد الشام، إذ قامت القبائل العربية في هذه المنطقة بالثورة ضد النفوذ الفارسي في الدولة العباسية وتزعم الثورة رجل من بني عقيل يدعى(نصر بن شبث) بعد مقتل الخليفة الامين وانحطاط العنصر العربي نتيجة سياسة المأمون فأعلن الثورة سنة 198هـ فأستولى على شمال الشام ومدينة سميساط(جنوب شرق تركيا حالياً على ضفة الغربية لنهر الفرات)، وحينما تولى المأمون الخلافة كافأ قائده طاهر بن الحسين وولاه الموصل والجزيرة والشام والمغرب وأمره بالقضاء على ثورة نصر بن شبث لكن الاخير تمكن من الانتصار على جيش المأمون الأمر الذي ارتفاع شأنه والتف حوله العربان، وعند انتقال المأمون الى بغداد ولى طاهر بن الحسين على خراسان وولى ابنه عبد الله على الجزيرة والشام ومصر وأمره بقتال نصر بن شبث فعمل عبد الله على التضييق على نصر وأجبره على طلب الامان والاستسلام سنة 210هـ .

3- ثورة بابك في بلاد فارس:-

تُعد ثورة بابك الخرمي من الثورات التي هزت كيان الدولة العباسية في بلاد فارس واستمرت من عهد الخليفة المأمون الى المعتصم بالله وقد مهدت لكثير من الفرق والمذاهب التي اباحت المحرمات ونشر الفساد والعقائد المنحرفة وقد ارسل المأمون وهو في مدينة مرو عدة حملات بدءً من سنة 201هـ لكنها فشلت نظراً لازدياد أتباعهم الى ان تمكن المعتصم من القضاء عليهم وأسير بابك الخرمي وقتله وصلبه بباب سامراء سنة 223هـ .

الاضطرابات في مصر

احس ولاة مصر بضعف رقابة العاصمة في الفترة التي كان فيها المأمون بخرسان وكذلك اضطربت الاحوال في مصر بسبب الخلاف بين الأمين والمأمون وأنقسم اهلها الى ثلاثة فرق: فريق يؤيد الامين وفريق ثان يؤيد المأمون وفريق ثالث بزعامة السري بن الحكم وأولاده يعمل لحسابه الخاص ويضرب الريقين بعضهما ببعض .

* **وصادف ان قامت ثورة في الاندلس(اسبانيا)** ضد اميرها الحكم بن هشام الأموي وهي ما تعرف **بثورة الربض سنة 202هـ** لكن الحكم الاموي استطاع اخمادها وتشريد القائمين بها فنزح قسماً من ثوار الاندلسيين الى افريقيا وعبروا الى المغرب واستقروا بمدينة فاس عاصمة الادارسة ، بينما واصل جزء منهم سيرهم في البحر شرقاً حتى وصلوا الاسكندرية فنزلوا بضواحيها ، واستغل هؤلاء فرصة اضطراب الاحوال في مصر واستولوا على الاسكندرية بمعاونة عرب البحيرة واسسوا امارة مستقلة عن الخلافة العباسية استمرت نحو عشر سنوات .

*** ولما استقرت احوال المأمون في بغداد لم يقبل عن احداث مصر فأرسل قائده عبد الله بن طاهر اليها سنة 212هـ** وكان من الطبيعي ان يبدأ بالأندلسيين في الاسكندرية لتخوف العباسيين من كل أثر يمت بصلة الى بني أمية فخيرهم عبد الله بن الجلاء والحرب فاختاروا الجلاء والتعهد بألا ينزلوا في أرض تابعة للخلافة العباسية، وفعلاً اتجهوا شمالاً الى جزيرة كريت التي كانت تابعة للإمبراطورية البيزنطية واستولوا عليها وحكموها الى سنة 350هـ حتى تمكن البيزنطيون من استردادها .

* وقامت ثورة اخرى في مصر استمرت 8 اشهر بسبب زيادة الضرائب على اهلها من قبل واليها عيسى بن منصور لكن المأمون استطاع اقرار الأمن فيها بالقوة وعاد الى بغداد .

سياسة المأمون الخارجية

لم يحدث اي تغير في سياسة المأمون الخارجية عما كانت عليه في عهد أبيه الرشيد فاستمرت العلاقات **مع الفرنجة – والإمبراطورية الرومانية في تبادل الهدايا والسفارات،** اذ أرسل لويس النقي بن شارلمان الى البلاط العباسي سفارة ايام المأمون سنة 216هـ تؤكد حُسن العلاقات الدبلوماسية.

سياسته تجاه البيزنطيين :

اذ نرى المأمون يستغل حدوث ثورة داخلية بقيادة توماس الصقلي ضد الامبراطور البيزنطي ميخائيل الثامن سنة 206هـ فأخذ يمد تلك الحركة بالمال والسلاح كي يساعده في الاستيلاء على القسطنطينية، لكن الدولة البيزنطية كشفت تلك الاتصالات وعملت على انهاء الثورة وقتل زعيمها سنة 208هـ ، الا ان انهاء الثورة لم تمنع المأمون من غزو الاراضي البيزنطية فخرج سنة 215هـ لغزوهم

وتكررت سنة 216هـ و217هـ وخرج أخيراً سنة 218هـ لغزوهم وفي الطريق عند مدينة طرسوس أصيب المأمون بالحمى وتوفي هناك .

النهضة الفكرية في عهد الخليفة المأمون

ازدهرت النهضة الفكرية في العصر العباسي وخاصة في عهد المأمون لاهتمامه بجمع تراث الامم القديمة وخاصة التراث اليوناني، كما ارسل البعثات العلمية الى القسطنطينية وقبرص للبحث عن نفائس الكتب العلمية ونقلها الى بيت الحكمة في بغداد وترجمتها، كما شجع مجالس المناظرة بين العلماء، وأدت هذه الحرية الفكرية الى ظهور جماعة من كبار العلماء والمتكلمين الذين تناولوا اصول الدين والعقائد وانتهت الى ظهور اكثر من مذهب فكري، ولكن المسألة الهامة التي شغلت تفكير العلماء والباحثين هي: **هل الانسان مسير أم مخير؟ وبالتالي هل الانسان حر الارادة يعمل ما يشاء ؟ ومسؤول عن عمله ام انه مسير بحكم القدر ولا خيار له فيما يعمله من خير او شرَّ ؟**

وقد عرف الذين قالوا بان الانسان حر الارادة وانه مخير وليس مسيراً باسم (القدرية او المعتزلة) ، أما الذين قالوا بعكس ذلك فقد عرفوا باسم (الجبرية او السلفية) ، والمعتزلة نشأت في البداية كطائفة دينية لا علاقة لها بالسياسة لكن سرعان ما تدخلت بها من خلال مسألة الامامة ووضعت الشروط الواجب توفرها في الامام وهنا يبدو واضحاً مدى العلاقة القوية بين آرائهم وآراء الشيعة .

مسألة خلق القرآن : كان المأمون من المؤيدين لطائفة المعتزلة فقد قرب إليه اتباع هذا المذهب وزاد من نفوذهم في قصر الخلافة ببغداد ولكن المسألة التي اثارها المعتزلة واخذت اثراً عميقاً في الاحداث السياسية والاجتماعية اضافة الى الفكرية هي مسألة القول: **(بخلق القرآن)** فقالوا: « انه من المحال ان يكون القران صفة من صفات الله، ان صفاته وحدة لا تتجزأ ولا تتغير، في حين ان القران فيه:

أمر ونهي، وعد ووعيد، وهذه حقائق متباينة...إن القرآن الكريم برأي المعتزلة مخلوق ، وهذا الرأي اخذ به المأمون واراد ان يفرضه على الناس وبعث سنة 218هـ كتاباً الى والي بغداد اسحاق بن ابراهيم يطلب منه اختبار القضاة والمحدثين وان يعاقب كل من يقول عكس ذلك، لكن حدث ما لم يكن بالحسبان بظهور جماعة نادت بكفر من يقول بخلق القران واتسع الاختلاف والانقسام في الدولة واستمر الى عهد الخليفة المعتصم والواثق .

المحاضرة الثالثة

م/ هارون الواثق بالله(227 – 232ه/841 – 846م)

تسلم الخلافة ابو جعفر هارون الواثق بالله بن المعتصم بالله بن هارون الرشيد العباسي بعد وفاة والده المعتصم سنة 227ه، وهو تاسع الخلفاء العباسيين، اتبع سياسة أبيه في الاعتماد على الاتراك حتى تزايد اعدادهم، وشغلوا المناصب الكبيرة والمهمة في الدولة، وولى القائد التركي(اشناس) السلطة وتوجهُ بتاج مرصع بالجواهر وكان ذلك سنة 228ه .

سياسية الواثق بالله الداخلية:-

لم يقع في أيام الواثق من الحوادث المشهورة ما يؤثر لكن هذا لا يعني ان عهده لم يواجه الثورات الداخلية والتي من اهمها:

1. **ثورة القبائل العربية:**

ثارت القبائل القيسية بدمشق في بداية عهد الواثق، فأرسل اليهم جيشاً تمكن من الانتصار عليهم في مكان يدعى مرج راهط، وقتل منهم نحو (الف وخمسمائة)، وتمردت قبائل بنو سليم التي تُعد من اقوى القبائل واكثرها عدداً وعاثوا فساداً في بلاد الحجاز وتطاولوا على الناس في ضواحي

المدينة، ونهبوا الاسواق وقطعوا الطرق وأوقعوا الهزيمة بجند والي المدينة سنة 230ه/844م ، فأرسل اليهم الخليفة الواثق جيشاً بقيادة القائد التركي(بغا الكبير) فأغار الاخير على قراهم وقتل منهم نحو خمسين وأسر مثلهم، وقبض على الف رجل من الذين ثبت عليهم اعمال الفساد والتخريب وحبسهم في سجن المدينة، لكن هؤلاء السجناء حاولوا الفرار بنقب سور السجن، وما ان رآهم اهل المدينة حتى هجموا عليهم وقتلوهم جميعاً، وفي سنة 232ه كلف الواثق قائده بغا الكبير بالخروج لغزو بني النمير في اليمامة بعد ان كثر عبثهم وفسادهم ، فأسر منهم جماعة وعاد بها الى العاصمة سامراء .

2. نكبة الكُتاب:

في ذات ليلة سأل الواثق ندماءه عن سبب الذي من أجله نكب الرشيد البرامكة فأجابه أحدهم: ان سبب ذلك هو تبذيرهم الاموال في كل تجاه، اذ لم يمضَّ على ذلك اسبوع حتى نكب الواثق بكُتابه، فعذبهم وصادر اموالهم لاعتقاده انهم أساؤوا حفظ الاموال التي عهد اليهم حفظها، فالعمال كانوا يجمعون الثروات الكبيرة بسرعة لعدم وجود رقابة عليهم تحاسبهم .

3. التعصب للمعتزلة:

تعصب الواثق للمعتزلة شأنه في ذلك شأن والده المعتصم وعمه المأمون فتشدد في القول بخلق القرآن، مما أثار غضب الرأي العام ضده علماً ان الواثق كان لبيباً فطناً فصيحاً شاعراً كما ذكرت الروايات التاريخية، يتشبه بعمه المأمون في حركاته وسكناته كما كان اكثر رواية للشعر العربي منه .

وكان على رأس الساخطين على الواثق بسبب تعصبه للمعتزلة هو احمد بن نصر بن مالك بن الهيثم الخزاعي، الذي اخذ بمبدأ " الامر بالمعروف

والنهي عن المنكر" اي انه أجاز الخروج على الحاكم ان انحرف وجار ، وكان احمد قد ثار سابقاً على عمه المأمون الذي لم يستطع القضاء عليه لهروبه واختفائه لكن والي بغداد اسحاق بن ابراهيم تمكن هذه المرة من القاء القبض عليه وارساله للخليفة الواثق والذي حاول جاهداً من اقناعه على القول بـ" خلق القرآن" الا انه أبى وقال: " كلام الله ليس بمخلوق" ولما أصر على موقفه أمسك الواثق بسيفه وضرب عنقه وهو يقول: " إني احتسب حطي إلى هذا الكافر الذي يعبد رباً لا نعهده ولا نعرفه بالصفة التي وصفه بها" ثم حمل رأس احمد الخزاعي الى بغداد فنصب بالجانب الشرقي أياماً والجانب الغربي اياماً ، وعندما صلب كتب الواثق ورقة علقت ي رأسه نصها " هذا رأس احمد بن نصر بن مالك، دعاه عبد الله الامام هارون(الواثق) الى القول بخلق القران ونفي التشبيه، فأبى الا المعاندة، فعجله الله الى ناره، ووكل بالراس من يحفظه ويصرفه عن القبلة " .

سياسية الواثق بالله الخارجية:-

أهم حدث في سياسة الواثق الخارجية تتمثل في فداء عدد كبير من أسرى المسلمين، وذلك أن الإمبراطور البيزنطي أرسل سنة231ه/845م رسلاً الى الخليفة الواثق يسألونه أن يفدي بمن في يده من أسرى المسلمين، فوافق وانتدب لهذه العملية الخادم(خاقان) بعد أن أعد من أسرى البيزنطيين عدداً كبيراً وتم التبادل فوق جسرين على نهر(اللامس)قرب مدينة طرطوس كان قد أقامهما كل من العرب والبيزنطيين، فكان المسلمون يرسلون البيزنطيين على جسرهم، ويرسل البيزنطيون المسلمين على جسرهم الى ان تم الفداء 4600 أسير كان منهم حوالي 600 من النساء والصبيان .

والجدير بالذكر في هذه العملية أن الاسرى المسلمين يخضعون الى امتحان في القول " بخلق القرآن... ولا يفدى منهم من لا يقول بأن القرآن مخلوق " ، وبوفاة الواثق انتهى العصر العباسي الاول وبدأ عصر آخر في تاريخ هذه الدولة .

المحاضـــــرة الرابعـــــة / البويهيـــــون 320 - 447 هـــــ / 932 - 1055 م

1-ظهور البويهيين :

يرجـع أصـل البـويهيين إلـى الـديلم الـذين اسـتوطنوا المنطقـة الواقعـة بـين طبرسـتان والجبـال وجـيلان وبحـر الخـزر وجـزء مـن أذربيجـان وبـلاد الـران مـن جهـة الغـرب وكـانوا يـدينون بالوثنيـة فـي بـادىء أمـرهم، ثـم انتشـر الإسـلام بيـنهم فـي بدايـة القـرن الرابـع الهجـري علـى يد الحسن بن علي الزيدي الملقب بالأطروش

وقـد أرجـع بعـض المـؤرخين نسـب البـويهيين إلـى سـابور ذي الأكتـاف فـي حـين نسـبهم الـبعض الآخـر إلـى قبيلـة ضـبة العربيـة. والواقـع أن البـويهيين هـم قبائـل فارسـية تـتكلم اللغـة الفارسـية بلهجـة محليـة، ولا صـلة لهـم بـالعرب. ويبـدو أن هـؤلاء المـؤرخين أضـفوا علـى البـويهيين نسـباً عريقـاً لرفـع مكـانتهم بعـد أن تـم لهـم السـيطرة علـى أجزاء كبيرة من العالم الإسلامي وبسطوا نفوذهم على دار الخلافة

وكانـت الأسـرة البويهيـة تتكـون مـن إخـوة الـثلاث علـي والحسـن وأحمـد أبنـاء أبـي شـجاع بويـه بـن فناخسـرو، وكـان بويـه هـذا رجـلاً مـن عامـة النـاس، يتعـيش مـن صـيد السـمك بناحيـة بحـر قـزوين مـن بـلاد الـديلم وعمـل أبنـاؤه جنـوداً فـي جـيش القائـد الـديلمي (ماكـان بـن كـاكي)، وقـد أتاحـت لهـم مـواهبهم العسـكرية الوصـول إلـى مراكـز هامـة فـي جيشـه. وكـان ولاء الجنـد فـي مثـل هـذا النظـام للقائـد الـذي يتـولى الإنفـاق علـيهم، وجـرت العـادة أن ينتقـل هـؤلاء الجنـد مـن خدمـة رئـيس إلـى خدمـة رئـيس آخـر، حسـب الظـروف الاقتصـادية المرتبطـة بكثـرة الغنـائم وقلتهـا، فلمـا ضـعف أمـر (ماكـان بـن كـاكي) علـى أثـر

هزيمته أمام (مرداويج بن زيار الديلمي) وعجز نوعاً ما عن ضمان الأرزاق للجند تفرق عنه كثير من أصحابه، ومنهم علي بن بويه وإخوته، وطلبوا السماح لهم بالانتقال إلى خدمة (مرداويج)، فتم لهم ذلك، ورحب مرداويج بهم، وأغدق عليهم الأموال، وولى علياً بن بويه حكم بلاد الكرج الواقعة بين همدان وأصبهان غير أن مرداويج ما لبث أن ندم على تولية علي بن بويه بلاد الكرج، فكتب إلى أخيه وشمكير في الري وإلى أبي عبد الله الحسين بن محمد الملقب بالعميد يأمرهما بصرف أولاد بويه ومنعهم من الوصول إلى بلاد الكرج، إلا أن رغبة مرداويج هذه لم تتحقق، إذ تمكن علي بن بويه من الوصول إلى مقر عمله بمساعدة أبي عبد الله نفسه واستقر في حكم البلاد، وأظهر كفاءة ومقدرة في تصريف الأمور، وأحسن إلى أهلها فحظي بتأييد الجند ومال الناس اليه إلا أن علياً بن بويه لم يلبث أن فارق بلاد الكرج بعد أن جبى ضرائبها لمدة عام كامل، وسار نحو الجنوب واستولى على أصبهان سنة 321 هـ بعد انتصاره على أبي الفتح ياقوت عامل العباسيين على المدينة وقد زادت تحركات ابن بويه هذه من مخاوف مرداويج فصمم على القضاء عليه، وأنفذ إليه جيشاً بقيادة أخيه وشمكير وكانت سياسة بويه في هذه المرحلة تقضي بعدم الاشتباك مع قوات مرداويج وبالابتعاد عن متناول يده قدر الإمكان، ولذلك فإنه ما إن سمع بتحرك جيش وشمكير نحوه حتى انسحب من أصبهان متجهاً نحو أرجان فدخلها في ذي الحجة من عام ٣٢١ هـ من غير حرب بعد أن هرب أميرها (أبو بكر بن ياقوت)، وشرع بجبابة ضرائبها التي بلغت ألفي ألف درهم، ثم فارقها خوفاً من اجتماع مرداويج وأخيه وشمكير على حربه، وتوجه إلى مدينة اصطخر وانتصر على المظفر بن ياقوت، وتمكن بعد ذلك من الاستيلاء على شيراز بعد أن خاض معركة عنيفة في سنة ٣٢٢ هـ

2- اتصال البويهيين بالخلافة العباسية

أقام علي بن بويه فترة في شيراز، انصرف خلالها إلى تنظيم أموره المالية، وتدعيم نفوذه في البلاد، ثم تطلع للحصول على تفويض الخلافة واعترافها بشرعية حكمه، فأرسل إلى الخليفة الراضي (٣٢٢ - ٣٢٩ هـ) يلتمس التفويض بالحكم، وتعهد بدفع مبلغ ثمانمائة مليون درهم إلى دار الخلافة في كل عام. وكانت ظروف الخلافة آنذاك سيئة وحاجتها إلى المال شديدة، فلم يتردد الخليفة بالموافقة على طلبه وأرسل إليه الخلع ومنشور التفويض مع أحد رسله، وأوصاه بأن لا يسلم ابن بويه شيئاً حتى يقبض المال المتفق عليه، فلما وصل رسول الخليفة شيراز خرج علي بن بويه لاستقباله وأخذ الخلعة، وقرأ على الناس تفويض الخليفة واعترافه بحكمه على البلاد، غير أنه ماطل في دفع الأموال واستبقى رسول الخليفة عنده حتى أدركته الوفاة في شيراز سنة ٣٢٣ هـ وكان لحصول ابن بويه على تفويض الخلافة واعترافها، أثر بالغ في نفس مرداويج الذي ثارت ثائرته، وعزم على القضاء على نفوذه، فأنفذ جيشاً كبيراً إلى منطقة الأهواز، ليقطع بذلك الطريق على ابن بويه في الوصول إلى بغداد، وقد تمكن هذا من تحقيق هدفه، فاستولى على الأهواز، فأثار ذلك مخاوف علي بن بويه، وأدرك أن مصلحته في هذه الظروف تقضي الاتفاق مع مرداويج وعدم التورط معه بحرب جديدة، فعرض عليه في مرونة سياسية أن يدخل في طاعته ويكون تابعاً له في حكمه ويخطب باسمه في بلاده، وإثباتاً لحسن نيته أرسل علي بن بويه أخاه...الحسن بن بويه ليكون رهينة عنده على الوفاء غير أن مرداويج لقي مصرعه بعد فترة قصيرة على يد جماعة من الإتباع (الأتراك) الذين كانوا يؤلفون جزءاً من جيشه، بسبب سوء معاملته لهم وتفضيله الديلم عليهم، وذلك في سنة ٣٢٣ هـ وتفرق كثير من جند الديلم بعد مصرع مرداويج بن زيار، وانضم فريق منهم إلى علي بن بويه،

واتفق من بقي منهم على طاعة وشمكير بن زيار، وقد أتاح مصرع مرداويج للبويهيين تحقيق أهدافهم في التوسعية، فاستولوا على أصبهان والري، ودخل أحمد بن بويه الأهواز سنة ٣٢٦ هـ على الرغم من المقاومة التي قوبل بها في هذه المنطقة، وبسط البويهيون نفوذهم على بلاد فارس والأهواز والري وأصبهان وهمذان وإقليم الجبال وتطلع أحمد بن بويه إلى الاستيلاء على بغداد، وكانت أحوال الخلافة آنذاك مضطربة على أثر الخلاف الذي قام بين الخليفة المتقي وأمير الأمراء توزون التركي، فشرع أحمد بن بويه في مهاجمة أملاك الدولة العباسية في سنة ٣٣٢ هـ، ووصل إلى ديالى وأصبح على مشارف بغداد، إلا أن توزون ما لبث أن تصدى له ودارت معركة كبيرة على ضفاف نهر ديالى استمرت بضعة عشر يوماً، وانتهت بهزيمة أحمد بن بويه في اليوم الرابع من ذي الحجة سنة ٣٣٢ هـ غير أن الظروف لم تلبث أن سنحت للبويهيين بدخول بغداد، على أثر وفاة الأمير توزون في سنة ٣٣٣ هـ وتولي كاتبه (ابن شيرزاد) منصب أمير الأمراء [١٧] فقد عم الاضطراب نواحي العراق في عهد الخليفة المستكفي، وعمد جماعة من أمراء الجند إلى مراسلة أحمد بن بويه يطلبون إليه المسير إلى بغداد، فرحل عن الأهواز، ودخل بغداد في الحادي عشر من شهر جمادي الآخرة من سنة ٣٣٤ هـ، فاحتفى الخليفة بقدومه، وخلع عليه، فبايعه أحمد بن بويه وحلف له بأغلظ الأيمان، كما حلف المستكفي لأحمد وأخويه وكتب بذلك كتاباً، وعقد له لواء أمرة الأمراء ولقبه (معز الدولة)، كما لقب أخاه علياً (عماد الدولة) وأخيه الحسن (ركن الدولة)، وأمر أن تنقش ألقابهم وكناهم على الدنانير والدراهم وما إن استتب الأمر لمعز الدولة البويهي في بغداد حتى استأثر بالسلطة دون الخليفة، ووضع يده على جميع أملاكه، وخصص له راتباً قدره خمسة آلاف درهم في كل يوم، ثم لم يلبث أن أمر بقطع هذا الراتب وحدد له اقطاعات ليسد منها نفقاته [١٩] , ثم أظهر البويهيون ما كانوا يضمرونه لخلفاء بني العباس فعمدوا إلى خلع المستكفي في جمادي الآخرة من سنة 334 هـ، واعتقلوه بدار معز الدولة بعد أيام قليلة من دخولهم بغداد،

وبايعوا أبا القاسم الفضل بن المقتدر الذي لقب بالمطيع، وأُحضر المستكفي فشهد على نفسه بالخلع وسلمت عيناه، وظل معتقلاً حتى توفي في ربيع الآخرة من سنة 338 هـ

المحاضرة الخامسة : ـ موقف البويهيين من الخلافة العباسية:

كان من نتائج تسلط البويهيين واستبدادهم بالسلطة في العراق ضعف الخليفة حيث أصبح في هذا العصر ألعوبة في أيديهم ليس له من الأمر سوى اسمه في الخطبة ونقشه على السكة، وفقد الامتيازات التي ورثها منذ قيام الدولة العباسية وحتى نهاية عصر نفوذ الأتراك، والتي تعتبر رمزاً لسيادة الخلفاء العباسيين السياسية والدينية، فقد ساءت أحوال الخلافة بدخول البويهيين بغداد، ويعبر المؤرخ ابن الأثير على ذلك بقوله: «وأزداد أمر الخلافة إدباراً ولم يبق لهم من الأمر شيء البتة وقد كانوا يراجعون ويؤخذ أمرهم فيما يفعل والحرمة قائمة بعض الشيء، فلما كان أيام معز الدولة زال ذلك بحيث إن الخليفة لم يبق له وزير إنما كان له كاتب يدير اقطاعاته لا غير، وصارت الوزارة لمعز الدولة يستوزر لنفسه من يريد» ومما زاد في ضعف الخلافة أن البويهيين كانوا يعتقدون أن العباسيين مغتصبين للخلافة لذلك لم يكن لدى البويهيين باعث ديني في طاعتهم، إلا أنهم أبقوا على الخلافة العباسية غير أنهم وثقوا علاقتهم بالفاطميين، فتبودلت الكتب بين عضد الدولة بن بويه والخليفة العزيز بالله، وتضمنت اعتراف عضد الدولة بإمامة العزيز كما عبر له عن ولائه وطاعته له ثم فكر معز الدولة فعلاً في القضاء على الخلافة العباسية وإعلان تبعيته للفاطميين في مصر، وأقامه خلافة علوية في بغداد، فشاور أصحابه فوافقوه على رأيه إلا واحداً منهم حذره من سخط الناس ومخافتهم له وروى ابن كثير أن معز الدولة سأله عما دفعه إلى النصح فقال: «لأن هذا العباسي خليفة ترى أنت وأصحابك أنه غير صحيح الإمامة، حتى لو أمرت بقتله قتله أصحابك، ولو وليت رجلاً من العلويين اعتقدت أنت وأصحابك أن ولايته صحيحة، فلو أمرت بقتله لم تطع بذلك،

ولو أمر بقتلك لقتلك أصحابك» فعدل معز الدولة عن رأيه، وفضل أن يستبد بالسلطة بجانب خليفة عباسي ضعيف على أن يكون تابعاً لخليفة يعترف بإمامته كما أنه خشي إن هو أقدم على إلغاء الخلافة العباسية أن يتعرض إلى هجوم السامانيين والغزنويين حلفاء العباسيين من جهة، وتعريض العالم الإسلامي إلى حروب أهلية من جهة أخرى واستبد معز الدولة البويهي بالسلطة ولم يبق للخليفة المطيع من الأمر شيء، غير ما أقطعه له الأمير البويهي، وكان قد خصص للمطيع ألفي درهم كل يوم لنفقته ويتضح ذلك من خلال كتاب المطيع إلى عز الدولة بختيار سنة 321 هـ حين طلب الأمير البويهي من الخليفة إمداده بالأموال مساهمة بالجهاد ضد الروم فرد عليه: «الغزو يلزمني إذا كانت الدنيا في يدي وإليّ تدبير الأموال والرجال. وأما الآن وليس لي منها إلا القوت القاصر عن كفايتي وهي في أيديكم وأيدي أصحاب الأطراف فما يلزمني غزو ولا حج ولا شيء مما تنظر الأئمة فيه وإنما لكم مني هذا الاسم الذي تخطبون به على منابركم تسكنون به رعاياكم فإن أحببتم أن أعتزل، اعتزلت عن هذا المقدار أيضاً وتركتكم والأمر كله» (٢٩). فلجأ بختيار إلى تهديد الخليفة حتى اضطره إلى بيع ثيابه وأنقاض داره، وأخذ منه أربعمائة ألف درهم أنفقها بختيار على مصالحه الخاصة، وكان لهذه الحادثة صدى سيئاً لدى أهل العراق وحجاج خراسان وتعرض الخليفة الطائع الذي خلف أباه المطيع إلى الإهانة والاعتداء على حرمة الخلافة، إذ لم يكتفِ بهاء الدولة بمصادرة أمواله والاستيلاء على ذخائره، فأرسل إليه يطلب الإذن في الحضور في خدمته ليجدد البيعة له، فأذن له وجلس في صدر الرواق متقلداً سيفه في التاسع عشر من شهر رمضان سنة 381 هـ، فدخل بهاء الدولة مع جماعة من الديلم، وقبل الأرض وأُجلس على كرسي، فتقدم أصحاب بهاء الدولة وجذبوا الخليفة عن سريره وهو يستغيث ويقول: «إنا لله وإنا إليه راجعون» ولا يلتفت إليه ثم حُمِل إلى دار بهاء الدولة، وساد الاضطراب في بغداد ونهبت دار الخلافة وأُرغِم الطائع على خلع نفسه وبويع للقادر بالله ومن مظاهر استبداد البويهيين بالسلطة

مشاركتهم الخلفاء في شارات الخلافة، فصارت أسماؤهم تُذكر مع اسم الخليفة في الخطبة منذ عهد عضد الدولة البويهي، ولم يسبقهم إلى هذا أحد من الأمراء، فقد كان هذا التقليد من الأمور التي ينفرد بها الخلفاء دون الأمراء، ولم يقف الأمر إلى هذا الحد، بل إن عضد الدولة عمد إلى حذف اسم الخليفة الطائع من الخطبة مدة شهرين حين تفاقم الخلاف بينهما كما نقش البويهيون أسماءهم وألقابهم على السكة (العملة) جنباً إلى جنب مع اسم الخليفة، وكان أول من فعل ذلك منهم معز الدولة البويهي وإخوته وعمدوا في بعض الأحيان إلى حذف لقب أمير المؤمنين من السكة واكتفوا بذكر اسمه مجرداً من اللقب، بينما حرصوا على ذكر أسمائهم وألقابهم وكناهم واستطاع عضد الدولة حين ولي أمور العراق أن يرغم الخليفة الطائع سنة 368 هـ على منحه حق ضرب الطبول أمام داره ثلاث مرات، كما أجاز الخليفة القادر بالله للأمير جلال الدولة أن تقرع له الطبول خمس مرات يومياً.

وحرض أمراء بني بويه كذلك على مطالبة الخليفة بالخلع والألقاب، ولم يكتفِ بعضهم بلقب واحد، كما فعل عضد الدولة حين طلب من الطائع لأمر الله أن يزيد في لقبه لقباً جديداً هو «تاج الملة»، فكان أول من تلقب بلقبين من الأمراء وحذا حذوه بقية الأمراء البويهيين، ففي سنة 373 هـ أنعم الخليفة الطائع على الأمير صمصام الدولة بلقب «شمس الملة»إضافة إلى لقبه الأول، كما لقب شرف الدولة بن عضد الدولة بلقب «شاهنشاه» ولقب الخليفة القادر بالله الأمير بهاء الدولة البويهي بلقب «غياث الأمة» على أن خلفاء بني العباس في هذا العصر ظلوا يحتفظون بسلطتهم الدينية التي حرصوا على التمسك بها ليقاوموا بذلك استبداد البويهيين، فاحتفظ الخليفة بحقه في تعيين القضاة وأئمة المساجد وأمراء الحجج والمظالم

سقوط البويهيين:

لم يلبث البويهيون أن تعرضوا إلى الانقسام والتنازع بعد عصر الأمراء الأوائل الذين حافظوا على وحدة الأسرة وتدعيم نفوذها، فقد تنازع أبناء عضد الدولة على الحكم حتى استقرت الأمور بيد بهاء الدولة. ثم تفجر الصراع ثانية بين أولاده، سلطان الدولة ومشرف الدولة وجلال الدولة، وبدأ البويهيون يسيرون بخطى سريعة نحو الاضمحلال بسبب الحروب التي اندلعت بين أفراد هذه الأسرة من جهة، وانصرافهم عن مواجهة أعدائهم في الخارج من جهة أخرى، فسقطت دولتهم على يد السلاجقة في سنة 447 هـ، حين دخل طغرلبك بغداد وقبض على آخر ملوكهم وهو الملك الرحيم (أبو نصر خسرو فيروز) وأرسله مقيداً إلى الري، وسقط اسمه من الخطبة في آخر رمضان من السنة المذكورة وأسدل الستار بذلك على الدولة البويهية لتحل محلها الدولة السلجوقية.

المصادر والمراجع

1. الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج5، ص 352 .
2. ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج4، ص 198 .
3. المسعودي، مروج الذهب، ج3، ص 245 .
4. شاكر مصطفى، التاريخ العربي والإسلامي، ص 211 .
6. عبد العزيز الدوري، العصر العباسي الأول، ص 33 .